عليم كان عليه واجبا اما من باب التحدث بالنعمة والشكر عليها واما من باب المدح الواجب وهو الذي
تترتب عليه مصلحة شرعية وفي كلام بعضهم نهاية كل عارف توجه الي صورة بدايته ولكن علي غير
الوجه الذي يشهده المبتدي مثاله ان المبتدي يجب عليه ان يترك كل شي يشغله عن الله فاذا
انتهي سلوكه علي مصطلح القوم فهناك لا يصير شي يشغله عن الله في الدارين لانه حينئذ يجد الحق
تعالي مع كل شي امر بتركه في حال بدايته حين كان ضعيف الحال فمثل هذا يمسك الدنيا بجذافيرها
ويتصرف فيها تصرف حكيم عليم ويزاحم علي الرياسة ويشاح الناس في الشي اليسير ويواخذ
الناس بكل شي فعلوه معه من الاذي وتصير صورته صورة ابنا الدنيا المحبين لها وقصده
مختلف وكماله في ذلك ومتي خالف ذلك نقص كماله فان امسك الدنيا كان قصده بها امساكها
كف نفسه عن سوال الناس وتحمل منتهم وانفاقها في مرضات الله في الوقت المحتاج الي انفاقها
فيه والعوز بلذة خطابه تعالي الذي لا يكون الا لمن معه مال وان زاحم علي الرياسة كان قصده
بالمزاحمة عليها التخلق بها من حيث كونها من اخلاق الله وليقوم بين الناس بالعدل فيعطي كل ذي
حق حقه ولو انه لم يكن عنده رياسة ما امتثل احد كلامه ولا قدر علي تخليص [illegible] الناس من
بعضهم بعضا وان شاح الناس علي الشي اليسير من الدنيا كان قصده تخليصهم من تحمل منته
وان اخذ الناس باذيتهم له كان قصده الشفقة علي الموذي والغيرة علي ذاته من حيث كونها
امة الله عنده وقد امنه عليها وامره بكف الاذي عنها وايضاح ذلك ان العبد اذا تحقق
بمعرفة الله كان مشهده السر القايم بالذوات لا الذوات ولم يبصر يري شيا غير ذلك السر
حتي يشتغل به عن ربه ومن هنا قال السيد يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني علي خزاين الارض
اني حفيظ عليم انتهي وايضا فان من مقام الاكابر انهم لا يلتفتون لشي الا ان راوا فيه وجها للحق
دون نفوسهم فلولا ان السيد يوسف راي فيما سال وجها للحق تعالي ما اعتني به قط لعصمة
الانبيا عن الحظوظ النفسانية ومما اجابوا به عن السيد موسي عليه الصلاة والسلام فيما نقل
عنه انه قال يا رب احبس عني السنة عبادك فقال له الحق سبحانه يا موسي هذا شي ما جعلته
لنفسي قد قالوا في ما قالوا انتهي انه عليه الصلاة والسلام ما سال في حبس السنة الناس عنه
لغرض نفسي حاشاه من ذلك وانما سال في ذلك رحمة منه وخوفا علي قومه من عدم قبولهم نصحه
اذا انتقص في عيونهم وقد كلف بهدايتهم او خشي لا يقع احد من قومه في الاثم بسبب تنقيصه لان
من انتقص نبيا كفر ونظير ذلك قول اخيه السيد هرون عليه الصلاة والسلام ولا تشمت بي
الاعدا فقصد بذلك عدم وقوع قومه في الاثم بسبب شماتتهم به فان من شمت في نبي كفر ومما
اجابوا به عن السيد داود عليه الصلاة والسلام في خطيئته المذكورة في حديث كانت خطية

اخي

اخي داود النظر ان المراد بالنظر رفع بصره الي السما وهو غافل عن الاعتبار فاخذه الله علي ذلك من باب
حسنات الابرار سيئات المقربين الا تري انه صلي الله عليه وسلم قد اطلق النظر في الحديث
ليحمل علي ما يليق بالانبيا لانهم معصومون من الوقوع في المكروه فضلا عن الحرام قبل النبوة
وبعدها لرفعة مقام النبوة وعظم شرفها ولا يجوز حمله علي ما يليق بمقام غيرهم وايضا فانا لما
راينا الحق تعالي قد اخذ الاوليا برفع بصرهم مع الغفلة حملنا خطية السيد داود علي ذلك ولم
يبلغنا في حديث صحيح ولا ضعيف ان المراد بالخطية نظره الي امراة اوريا لما شا في بعض
الغزوات لان الانبيا معصومون من النقايص وانما جا ذلك في بعض نسخ الزبور التي حرفها
اليهود قصدا بذلك استحلال اعراض الانبيا وايذا السيد داود وكانوا قد عادوه لما تلي
عليهم صفة نبينا صلي الله عليه وسلم التي نزلت في الزبور وان كتابه ينزل ناسخا للكتب التي
قبله وقد وقع لبعضهم انه رفع بصره الي السما فحصل له في قلبه قسوة فشكي ذلك لشيخه فقال
له لعلك نظرت اليها علي غير وجه الاعتبار والحضور مع الله تعالي فان الله اذا اعتني
بعبد اخذه بكل حركة او سكون لم ينتج عن حضور وغفلة فان الاوليا يواخذون بمثل ذلك
فكيف بالانبيا قاله الشيخ محي الدين بن العربي وغيره ومما اجابوا به عن السيد ايوب عليه الصلاة
والسلام في قوله اني مسني الضر ان شكواه اعلا من سكونه وتجلده لما في الشكوي من الذل
والانكسار واظهار الضعف وذلك اعلا اوصاف العبيد ولان النبي كلما ترقي في مراتب الكمال
والقرب ضعفت نفسه حتي يصير يتالم من قرصة البرغوث ويعجز عن حمل ثوبه بخلاف
السكون وشدة الصبر والتجلد فان ذلك انما هو من قوة النفس وكبرها ومقاومتها للقهر
الالهي فاذا كمل العبد ورق حجابه وماتت نفسه مالت الي الضعف والقت السلاح وقد ذم
الله قوما بقوله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فعلم ان اظهار الشكوي كمال في حق الاكابر
نقص في حق الاصاغر كما ان صبر العبد علي البلا كمال بالنسبة لمقام العامة الذين لا صبر عندهم
نقص بالنسبة لما فوقه من المقام الاخر الذي هو اتساعه الاعلي كما ان التالم بالبلا اعلا من
التلذذ به لانه اذا تلذذ به خرج عن كونه بلا وصار من قسم النعم فالواجب فيه الشكر لا الصبر
والله اعلم ومما اجابوا به عنه ايضا عليه الصلاة والسلام في حثيه الذهب في ثوبه حين امطرته
السما انه عليه الصلاة والسلام اراد بذلك اظهار الفاقة الي فضل ربه وذلك اكمل ممن قنع
ورضي باليسير من الدنيا لا لاظهاره الغنا عن فضل ربه اذ كمال العبد انما هو باظهار الحاجة الي
فضل ربه وما ورد من رد الدنيا من الاكابر الا خوفا علي قومه ان يقتدوا به في ذلك فانهم لا
يعرفون كيف يتخلصون كما رد نبينا صلي الله عليه وسلم جبال الذهب والفضة لما عرضها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)